



مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ذي قار

المجلد الثالث عشر العدد الثاني 2023

ISSN:2707-5672

هيئة التحرير

أ.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيئة التحرير

الاختصاص	الجامعة	الاسم	ت
طرائق تدريس	جامعة بغداد	أ.د. سعد علي زاير	1
اللغة العربية	جامعة ذي قار	أ.د. مصطفى لطيف عارف	2
علم النفس	جامعة كربلاء	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	3
اللغة الانكليزية	جامعة ذي قار	أ.د. عماد ابراهيم داود	4
علم النفس	جامعة عمان	أ.د. صلاح الدين احمد	5
الجغرافية	جامعة اسيوط	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	6
التاريخ	جامعة صفاقس/تونس	أ.د. عثمان برهومي	7
التاريخ	جامعة ذي قار	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	8
ارشاد تربوي	جامعة البصرة	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	9
الجغرافية	جامعة ذي قار	أ.م. انتصار سكر خيون	10
الإشراف اللغوي			
		م.د اسعد رزاق يوسف	اللغة العربية
		م.د حسن كاظم حسن	اللغة الانجليزية
ادارة النظام الإلكتروني: م.م محمد كاظم			
الإخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي			

المحتويات

ت	اسم الباحث وعنوان البحث
1	الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبعثته الى اليمن في عصر الرسالة م. م. دعاء خليل ابراهيم الزيدي
2	تقييم جودة القدرات البحثية للجامعات العراقية (دراسة تحليلية) المدرس الدكتور أحمد كنعان سليمان
3	الابعاد النسقية للخطاب السلطوي وتمثلاتها في شعر ابن حمديس الصقلي أ. د. حسين مجيد رستم الحصونة جاسم نافع عمير
4	تباين كثافة النقل سيارات نقل الركاب على الطرق الجنوبية في قضاء الشطرة لعام 2022 عبد داخل ناھي أ.د. أسعد عباس هندي الأسدي
5	اثر التغير المناخي في تغير عدد ايام بقاء الامواج الهوائية المستعرضة فوق العراق مروه ستار جبار التميمي الاستاذ الدكتور عزيز كويتي الحسيناوي
6	الاتصال والانفصال بين الفعل والفاعل في النحو العربي شيماء حسين صحن أ.د. أسعد خلف العوادي
7	تعارض كتب الأغلاط مع التطور الدلالي لبعض الألفاظ العربية م.د.د. مجيد بدر ناصر
8	المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة دعاء صادق عادل الزيدي م.د. عبد الخالق خضير عليوي
9	لنموذج العامل في كتاب مرزبان نامه حكاية (في ذكر الغنز المحتال والكلب الزكي) انموذجاً أزهار جبار حمد أ.د. ضياء غني العبودي
10	الملك خايمي الأول دراسة في سياسته الداخلية والخارجية (605 - 675هـ / 1208-1276م) م.د. حيدر ناجي مطلق
11	حكم الحدود قبل التوبة وبعدها وقبل انكار الاقرار في الفقه الاسلامي الدكتور محمد نوذري فردوسيه محمد مجيد عباس

الخصائص السكانية لمدينة ابي الخصيب زينب عبد الوهاب احمد المياحي	12
شعرية التواصل في مفهوم نظرية جاكسون م . م . بشار هبر كاظم	13
أثر الصدق في تشكُّل الخطاب وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاريّ أنموذجاً أ.م. د أحمد حسين حيال	14
أثر القرآن الكريم في تطور الدرس البلاغي العربي حورية بن يطو	15
تطور فهم الأطفال للسخرية اللفظية أسامة سعدي شكر أ.م.د. هدى كامل منصور	16
الآراء الموضوعية للمستشرق جورج سيل في سيرة الرسول محمد (ص) في مقدمته التاريخية لترجمته للقران الكريم أ.م.د. حيدر مجيد حسين العلي	17
البرنامج النووي الصيني وسياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاهه (1955-1964) دراسة تاريخية في ضوء الوثائق الاميركية م . م . ظفار محمد يحيى البزوني	18
التباين المكاني للعوامل المؤثرة في تنظيم الأسرة في قضاء الرفاعي م . د . ضلال منذر منعر الحسناوي	19
العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى المشرفين التربويين خالدة كاظم جهاد أ.د انعام قاسم الصريفي	20
موقف الفقهاء من الخلافة الأموية م.د. نازدار عبدالله المفتي	21
الرواية القصيرة بين الأصالة والهجنة والاتباع م.م. عمار إبراهيم عزت أ.د. فوزية لعيوس غازي الجابري	22
((السيد مرتضى علم الهدى اهرمي قائد الحركة الدستورية في مدينة بوشهرودوره في ايران من 1905 - 1915)) أحمد علي رداد الصريفي نهلة نعيم عبد العالي	23

24	المخفي والمعلن في خلاصات السبعين لكاظم الحجاج (أزمة الشاعر الانسان في زمن الأزمات) هالة فتحي كاظم
25	منظمة الأمم المتحدة نشأتها - أعضائها - ودورها الاقليمي والدولي الاستاذ المساعد الدكتور فاضل عبدعلي حسن
26	بيئة حلب الترفيهية عند شعراء الدولة الحمدانية أ.د. عباس جخيور سدخان الوائلي م.م. زينب ريسان حميد الشمخاوي
27	اثر بعض الخصائص المناخية وامراض الجهاز التنفسي في مدينة الناصرية أ. م. د. . يونس كامل علي دعاء عودة لفته
28	اثر جرائم المخدرات في الأمن الإنساني العراقي الأمن الاجتماعي إنموذجاً ماهر حيدر نعيم الجابري أ . د لطيف كامل كليوي
29	ذكر اسماء الحيوان في القرآن الكريم دراسة احصائية تفسيرية م.م. قصي حسن حميد
30	النكتة قناعاً ثقافياً ناجي عباس مطر
31	نجاح الإدارة المدرسية الناجحة في المدارس الثانوية الحكومية من عند المرشدين التربويين م. م شهاب كاظم جواد
32	اثر التغيرات المناخية في مساحة المراعي الطبيعية في العراق وانعكاسها في تربية الأغنام أ م د فهد احمد فرحان العامود
33	نظم المعلومات الادارية ودورها في الابداع الاداري لمديري المدارس العراقية د. مريم اسلام بناه احمد هداد عبد
34	(المرتکز الفلسفي لتقنين السلوك الجمعي في فكر أئمة أهل البيت -ع-) الباحثة: زينب حازم كشيش أ.د. حميد سراج جابر
35	التلطف في خطابات الحرب تحليل مبادئ مرزوقه شريف عبد رميح هاني كامل العبادي

من ما بعد الحداثة إلى ما بعد الحداثة: جمالية الثقة في أجساد إسحاق ماريون الدافئة م. د. عمار علي كريم	36
تقويم الأوراق البحثية لطلبة الماجستير في اللسانيات خلال فترة جائحه كورونا وما بعدها : دراسة مقارنة الأستاذ المساعد الدكتور حسن كاظم حسن	37

المخفي والمعلن في خلاصات السبعين لكاظم الحجاج (أزمة الشاعر الانسان في زمن الأزمات)

هالة فتحي كاظم

قسم الدراسات اللغوية والأدبية ، مركز دراسات البصرة والخليج العربي ، جامعة البصرة ، البصرة ، العراق

Halafathi344@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الشعر، كاظم الحجاج، الحداثة، الأزمات

الملخص

إن الشاعر كاظم الحجاج واحد من الشعراء الذين عرفوا بإنسانيتهم العميقة ، وحسهم الوطني الكبير ، لذلك حفلت نصوصه بالرفض لكل ما يراه منافياً للقيم الراسخة والمتبلورة في المجتمعات المدنية الحديثة، فضلاً عن التقاليد والأعراف البالية، والطبائع المتلونة التي تلونت بها شريحة واسعة من الناس قادة وحكاما ومسؤولين كبار في الدولة من جانب، ومن جانب آخر الشعوب أنفسها بما تمتعت به من رضوخ واستسلام وضعف. ولاسيما خلاصات السبعين التي جعلها عصارة لنصوصه السابقة ، وهذا ما سنتناوله بالدراسة في هذا البحث .

أما البحث فقد تكون من عدة فقرات أوضحنا من خلالها أهم تجليات أزمة الشاعر كاظم الحجاج في زمن الأزمات ، مثل الرفض وتضمن كل من (الرفض السياسي والرفض الديني والرفض الاجتماعي) ، كذلك السخرية وكيف وظفها للتعبير عن انتقاده للواقع السياسي والديني والاجتماعي ، ثم الثورة والتمرد والغضب من كل مظاهر الرضوخ والاستسلام ، كذلك حالة التآرجح بين اليأس والأمل من خلال رصد الأحلام والرؤى والطلول التي طرحها الشاعر لتخلص العراق من أزماته والرجوع إلى حالة الرفعة والشموخ والهيبة التي تليق به وبالفرد العراقي .

The Hidden and the Declared in Abstracts of the Seventy For Kazem Al-Hajjaj (The crisis of the human poet in times of crisis)

Hala Fathi Kazem

Halafathi344@gmail.com

Department of Linguistic and Literary Studies, Center for Basra and Arabian Gulf
Studies, University of Basra , Basra , Iraq

Keywords :Poetry, Kadhem Al-Hajjaj, modernity, crises

Abstract

The poet Kazem Al-Hajjaj is one of the poets who knew for his deep humanity, and his great patriotic sense, So, his texts were filled with rejection for everything that he sees contradictory for established and crystallized values in modern civil societies, as well as outdated traditions and customs, and the colored character that was colored by a wide range of people such as leaders, rulers and senior officials in the state from one side, and on the other side, the peoples themselves who have enjoyed in submission, surrender, and weakness."Kholasaat Alsabien", that he made a succulent to his previous texts, is what we will study in this paper. As for the paper, it may consist of several paragraphs. The researcher explained through it the most important manifestations the crisis of the poet Kazem Al-Hajjaj in a time of crisis, like rejection such as (Political, religious, and social rejection), as well as sarcasm. In addition to how he used it to express his criticism of political, religious and social reality, then the revolution, rebellion, and anger for all appearances of submission and surrender. So is the state of oscillation between despair and hope by monitoring dreams and visions and solutions put forward by the poet for Iraq to get rid of its crises and refer to the status of elevation and the pride and prestige that befits it as well as for the Iraqi individuals.

المدخل

إن لكل شاعر نظرة خاصة في الحياة ، وتلك النظرة للحياة تفترض الاندماج فيها وتفهم أبعادها أولاً ثم يكون الموقف الذي يتبناه منها ، غير متناسين أن لتجربة الشاعر وثقافته وظروف حياته وحياة الجماعة التي يعيش بينها دور كبير في بلورة الموقف الذي ينتهي إليه . والشاعر كاظم الحجاج واحد من الشعراء الذين عرفوا بإنسانيتهم العميقة ، وحسهم الوطني الكبير ، لذلك حفلت نصوصه بالرفض لكل ما يراه منافياً للقيم الراسخة والمتبلورة في المجتمعات المدنية الحديثة ، فضلاً عن التقاليد والأعراف البالية ، والطباع المتلونة التي تلونت بها شريحة واسعة من الناس قادة وحكاما ومسؤولين كبار في الدولة من جانب ، ومن جانب آخر الشعوب نفسها بما تمتعت به من رضوخ واستسلام وضعف ، ولاسيما خلاصات السبعين التي جعلها عصارة لنصوصه السابقة ، وهذا ما سنتناوله بالدراسة في هذا البحث .

إن الغوص في عوالم كاظم الحجاج يصل بنا إلى عالم يلفه الحماس الثوري والصدق الشعوري والمواقف الواضحة حيناً والمتناقضة أحياناً أخرى لما تمتعت به شخصيته من جرأة وصراحة في التعبير وكبرياء مهيب إلى جانب تواضع محبب ، في عالمه نجد صور لأزمة الشاعر الانسان الذي فرض عليه عيش حياة مؤلمة وقاسية مليئة بالرفض والثورة والسخرية من واقع المجتمع العراقي المتردي وما هو عليه من ضعف وتخاذل وتقبل لسلبيات وظروف لا تناسب الفرد العراقي المعروف بالرفض والشجاعة والثورة على الذل ، فراح الشاعر عبر نصوصه يصوغ أحلاماً لنفسه ولمجتمعه ويرسم ثورة ضد الاستسلام للأقذار والخضوع للسلطة التي لا يهتمها سوى مصالحها وأطماعها ، إن خلاصات السبعين كانت بحق صرخة مدوية ، هي خلاصة كل الصرخات والثورات التي حفلت بها نصوص الشاعر السابقة ، وهي رفض صريح ومباشر لكل التابوهات المسيطرة على حياة الإنسان العراقي ونعني بها (الدين والسياسة والمجتمع) لأنها من تسبب للمجتمع العراقي بكل الأزمات التي مر ويمر بها وقد جاء ذلك البوح وتلك الأفكار بصورة مخفية أحياناً مغلفة بالرموز ومقنعة بشخصيات وأحياناً أخرى معلنة وواضحة ومباشرة .

أما البحث فقد تكون من عدة فقرات أوضحنا من خلالها أهم تجليات المخفي والمعلن وأزمة الشاعر كاظم الحجاج في زمن الأزمات ، مثل الرفض وتضمن كل من (الرفض السياسي والرفض الديني والرفض الاجتماعي) ، كذلك السخرية وكيف وظفها للتعبير عن انتقاده للواقع السياسي والديني والاجتماعي ، ثم الثورة والتمرد والغضب من كل مظاهر الرضوخ والاستسلام ، وأيضاً حالة التراجع بين اليأس والأمل من خلال رصد الأحلام والرؤى والحلول التي طرحها الشاعر لتخلص العراق من أزماته والرجوع إلى حالة الرفعة والشموخ والهيبة التي تليق به وبالفرد العراقي . الحق أقول إن خلاصات السبعين كانت صورة مصغرة لثورة أكتوبر التي نعيش أجواءها الآن ، بكل تفاصيلها ومطالبها التي أهمها (أريد وطن) ، لقد تلخصت أزمة الحجاج الشاعر الإنسان ، والعراقي البصري الأصيل بأنه يريد وطن حقيقي يضم كل العراقيين على اختلاف طوائفهم بدون أي سلطة جائرة للدين أو السياسة أو المجتمع .

تجليات المخفي والمعلن من أزمة الشاعر الإنسان في زمن الأزمات

1. الرفض ١

إن الرفض في اللغة والاصطلاح يعني الترك والطرده والصد والامتناع وعدم القبول . (1) وهو لا يكون اعتباطيا وإنما يكون بدافع الوصول إلى غاية كان يرمي إليها الرفض (التارك) , وقد يحمل الرفض معنى العنف والغضب والتحدي , والإنسان الرفض يبحث دائما عن البديل لما يشعر به من ضيق أو في طبيعه أو في بيئته , إذ إنه من البديهي جدا أن الانسان (أي إنسان) لا يرفض شيئا إلا لأنه ملتزم بشيء اخر يتبناه ويدعو إليه . (2) إن ارتباط الشعر بالرفض كبير جدا وذلك لامتلاكه رؤية للواقع تمنحه صفة الثورية والابتعاد عن السكون وهذه الصفة مكتسبة من الشاعر لأنه بطبيعة الحال شخص غير عادي فهو يتميز عن سواه بأفكاره ونظراته للحياة وحبه للحركة وعدم السكون والذل والمسكنة كذلك حبه للتغيير والإبداع والبحث عن الجديد واللامألوف ومن هنا نجد معظم نصوصه متممة بالقلق والغضب والتمرد والانفعال التي تقوده بطبيعة الحال إلى الثورة والرفض .(3)

إن ظاهرة الرفض في شعر الحجاج جاءت بصورتين , الأولى رفض ذاتي خاص بالشاعر :

" لا تكتئبي ...

لن نبقي أطول مما مسموح ,

بعد كهولتنا - أنت وأنا - 00

فأنا خجلان , من أن أهرم , حتى (أخرف) ...

كما يخرف العالم من حولي ... الان ...

أنا يبكيني فلم - بالأبيض والأسود , من أيام العشرينات ...

أفكر في أطفال الفلم ...

وقد ماتوا الان ... " (4)

في قصيدة (ذاكوراء) التي تكاد تكون بأجمعها قائمة على الرفض المعلن , نجد هذا المقطع الذي يرفض فيه الشاعر رؤية نفسه بل وحتى زوجته وقد هرما كثيرا وكبرا بالسن , وهذا الخوف ليس من الموت لأن الشاعر في مقاطع كثيرة من نصوصه يذكر الموت وعدم الخوف منه والاستعداد له لأنه النتيجة الحتمية لكل إنسان ولكن ما يخيف الشاعر هو مرحلة ما قبل الموت مرحلة الهرم حد الخرف وفقدان العقل والتركيز والتفكير , لأنه عند ذلك سيكون قد مات قبل موته موتا قاسيا , لأن موت العقل يعني موت الشاعر المفكر الحساس الذي يعرض لنا الحجاج صورة عن مشاعره المرهفة في موقف البكاء عند

مشاهدة الأفلام القديمة (فلم بالأبيض والأسود) لمجرد التفكير بموت الممثلين في ذلك الفلم . هناك رفض اخر يعبر عنه الشاعر ولكن هذا الرفض يتعلق هذه المرة بمرحلة ما بعد الموت :

" أنا أتمنى أن أحرق ..

لا أن أدفن – بعد الموت –

لكي لا أخلد في الدود .. " (5)

فهو يرفض أن يأكل جسده الدود بعد موته وتضل بقاياها موزعة في بطونه ولذا يتمنى لو كان بالإمكان حرق جثته لكنه يعلم أن هذا الأمر مخالف لتعاليم الدين الإسلامي الذي يقضي بدفن الأجساد بعد الموت , وهنا كانت اشارة خفية لديانة هندية تقوم بحرق الأجساد بعد الموت . ويعود الشاعر لرفض الهرم لأنه يجعل الشخص ضعيفا مرتجفا خائر القوى:

" أنا أيضا قررت – ولكن في السر – :

إذا ارتجفت كفي يوما بالكأس .. أطلقها

أعني الخمرة , لا كفي ! " (6)

وهو رفض مخفي بصورة فنية جميلة , والشاعر يحاول تناسي الهرم وكبر السن لأنها أفضل وسيلة لتجنب المخاوف الناتجة عنه , إذ إن أفضل وسيلة لتبسيط أمر كبير هو بتجنب التفكير به حتى يصغر ويتلاشى :

"إنني أتعمد أن أنسى شعري الأبيض في المرأة ...

لكي أبقى طفلا يرضع ,

لكن ... في السبعين ! " (7)

إن الجدير بالذكر أن الشاعر في كل هذه المواقف الراضية يقدم البديل للحالة المرفوضة ليجعل من رفضه موضوعيا ويقنع الآخر به. في بعض الأحيان رفض الشاعر يسيطر عليه اليأس والحزن لدرجة أنه لا يرى بديلا للواقع المرفوض فنراه يسرد الأحداث ويعرض الصور التي يرفضها لأنها فرضت عليه ولأنه غير قادر على تغييرها , كفقدان الأحلام للألوان وتحويلها إلى الأبيض والأسود وهذه دلالة على فقدان الشاعر لمعاني الفرح والبهجة والتفاؤل بالحياة تلك الحياة التي تحول كل شيء فيها (إما – أو) فلا وجود للطول الوسطى :

" أنا أعني حتى الأحلام

– وما زالت بالأبيض والأسود _

لا احلام ملونة . تدرين لماذا ؟

الألوان – كما قال معلمنا أستاذ الرسم _ :

الألوان يحددها مقدار الضوء " (8)

في هذا النص الذي أخفى فيه الشاعر رفضه بصورة رمزية مذهلة , يأتي الشاعر بقاعدة علمية في الفيزياء تنص على إن الألوان لا ترى بدون إضاءة فالألوان يحددها مقدار الضوء , والضوء في حياة الشاعر أصبح شبه مفقود بسبب ما يعانیه من ظلم الطغاة وتسلطهم وحروبهم التي سلبت من حياته وحياة بعض أقربائه كل ما هو جميل ومفرح :

" انتبهي ! في سنة ثمانين

- عساها ما عادت !-

كل الأشياء غدت في لونين

الأحمر والأسود ..

جرح ابن أختي أحمر ..

أختي تتباهى قدامي :

- انظر ! (تائر) في طولك

بسم الله عليك !..

وثائر لم يسمع صوت القصف الأول ,

كان يغني ..

في الليل حلمت بثائر :

كان قميص ابن أختي أزرق ,

حتى في الحلم الأبيض والأسود

.. وسبحان الله ابن أختي

حتى في الحلم تزوج بنت الجيران

وكانت عيناها خضراوين

أنا أعني حتى في الحلم ..

ولكن أختي - حتى في الزفة -

كانت بالأسود ! ..

فنجان آخر ؟

أدري . قهوتنا في العلبة ما عادت تكفي

في الصباح سأذهب للبقال ... " (9)

في هذا المقطع يستذكر الشاعر بعض الاحداث التي مرت به والتي يرفضها بصورة معلنة , ويتمنى لو لم تحدث ولكن ذلك ليس في الإمكان , هذه الأحداث تتعلق بحرب الثمانين (حرب العراق مع إيران) وما رافقها من دمار وموت وحزن لذا الحياة أصبحت في نظر الشاعر بلونين الأحمر والأسود , الأحمر يرمز

للدماء التي سالت من جرح ابن اخته الشهيد ثائر والأسود يرمز للون ثياب الحداد التي ارتدتها أخته , ويرمز للحزن الذي لف حياة الشاعر وأخته التي حرمت من زفاف ولدها , فحلم الشاعر بذلك الزفاف , بتلك الأمنية ولكنه زفاف غير مألوف فقد زف الشاب إلى الجنة بدلالة لون قميصه الأزرق ولون عيني عروسه الخضراء وهي ألوان ترمز إلى الجنان حيث مثوى الشهداء ولذا كانت ثياب أخته ما تزال سوداء , فولدها وإن كان قد زف للجنان لكن الحزن على فقده مازال موجود بقلب الأم , ومازال موجود بقلب خاله الشاعر , على الرغم من تَعُوده على تجرع فناجين الأسي والحزن (فنجان آخر ؟) القهوة السوداء هنا ترمز للحزن والموت لأن الناس اعتادوا على تقديمها في العزاء , فوجودها في النص وتكرار الشاعر لها بأكثر من مقطع يدل على إن الشاعر محاصر بالموت في حياته من كل الجهات موت الأصدقاء وموت الأقرباء وموته المرتقب مع تقدم العمر ووصوله للسبعين , محاصر باليقظة والحلم :

" ذهبت بعيدا ...

فلنرجع للأحلام ..

الأكفان كذلك واضحة في الأحلام ,

الأكفان بلا لون , ليست خضراء

ولا صفراء , وحتى – سبحان الله –

خدود بنات المدرسة الحلوات ,

بلا لون في الأحلام .. التفاح

بلا لون في الأحلام . الرمان .. " (10)

كل الأشياء من حوله بلا لون أي إنها ميتة , لأنه فقد الأمل فهو لم يعد يرى في الأحلام ما يبهج , ولذا فالحجاج مستعد لمقابلة الموت متى ما دق بابه , فهو لا يخاف الموت لكنه يخاف فقد الأحباب , وحزنهم عليه , لاسيما حفيدته الصغيرة رقية التي عندما تراه ميتا لن تستوعب الأمر فستظن إنه نائم وستطلب من الذين يكون بقربه السكوت , لكي لا يصحو من نومته كما اعتاد الآخرون طلب ذلك الأمر منها عندما تصدر الأصوات الطفولية أثناء لعبها في حين يكون الجد غارقا بغفوته , فالحجاج كل ما يتمناه أن يحضى بموت هادئ بين أفراد أسرته وأن يكون صوت حفيدته الطفولي هو آخر ما يسمعه هو لا يرفض هكذا موت ولا يخافه لكنه ربما يرفض موتا آخر يموت فيه برصاصة غدر أو انفجار عبوة أو أي موت مرووع مما يراه في الواقع المحيط به :

" وأنا حلمان

كمثل رفيف الموت , الآتي من ميلادي

أتمنى آخر صوت أسمع

صوت (رقية) - صغرى أحفادي - :

إش . لا تبكوا .. خلوا (جدو) نايم ! " (11)

هناك نوع من الرفض يكون توعوي أو خارجي يُلقى بظلاله على الشاعر بوصفه واحداً من أبناء المجتمع وهذا الأخير (الموضوعي) يتعلق بالظروف السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية . (12)

" تركت التدخين لأن هوائي

قد صار دخانا أيضا ..

هل يمكن أن أحيا بين دخانين :

هواء البصرة و.. النيكوتين ؟ " (13)

إن الظروف البيئية للبصرة ترهق الشاعر وتجعله يشعر بالحزن العميق والرفض الكبير لهذه الظروف التي تمر بها مدينته الحبيبة بسبب السياسيين الفاسدين الذين أهملوا كل شيء وحرموا الناس من العيش ببيئة صالحة للعيش فالهواء ملوث ويحمل الموت والمرض للجميع لدرجة أن الحجاج يشعر بتأنيب الضمير عندما يدخل سيارته , لأنه لا يريد ان يكون شريك في عملية التلوث والقتل , وهذا منحى إنساني كبير وشعور مرهف يليق بالحجاج الشاعر الإنسان , وبنفس الوقت هو إطار يخفي وراءه الرفض وأسبابه . ويواصل الشاعر عرض ظروف مدينته البيئية السيئة , إذ يشعر بالأسى على شط العرب وتلك المياه النقية التي كانت فيه , والتي تحولت إلى مياه مالحة غير صالحة للشرب ولا للاستخدام البشري , ومرة أخرى هذه الظروف بسبب السياسيين الفاسدين وعدم محاولتهم إيجاد الحلول للأزمة رغم تواجدها وإمكان توفرها , لكنه يعرضها بطريقة غير مألوفة , طريقة تشعر المقابل بالخزي والعار وفقدان الوطنية وحس الانتماء وهذه أروع صور التعبير عن الرفض المعلن والخطاب المباشر وانتقاد الآخر :

" أخيرا :

إلى السادة حكام البصرة , من حزيبين.

.. اسلاميين أو من حزيبين

مستقلين , لم تذكرهم " سورة الأحزاب " .. انتبهوا لطفا:

الشيطان : فؤاد الشطي وماجد الشطي .

وبقية الشطيين الكويتيين .. كان

أجدادهم الفقراء الطيبون , ينقلون

الماء العذب , من شط العرب , بقوارب

نظيفة إلى الكويت , منذ أكثر من مئة

عام .. وهم يحملون , إلى الآن ,

لقبهم العذب , الذي أخذوه من ماء شطنا ! ...

فلنخجل من شط العرب الآن ! " (14)

فالشاعر يستتكر ويرفض موقف السياسيين من الأحزاب المسيطرة على السلطة بمختلف أشكالها (الاسلاميين والمستقلين) حتى لا يؤخذ عليه أنه يميل لجهة معينة دون أخرى , الكل محاسب والكل متهم بوطنيته لأنهم لا يحاولون إنقاذ الأرض التي ينتمون لها ويعيشون عليها والأنهار التي شربوا من مائها , ويفسر موقفهم هذا على إنه نكران للجميل في حين يعد التزام بعض الشخصيات الكويتية ممن كانوا يعتمدون على مياه شط العرب في تغذية مناطق الكويت قبل إنشاء محطات التحلية بلقب (الشطي) الذي يعود لشط العرب , أنما هو من قبيل العرفان بالجميل .إن هذا الوضع الذي آل له ماء شط العرب , أدى إلى جفاف أراضي البصرة وموت النخيل والأشجار والنباتات في أبي الخصيب وترك البصريين للزراعة , والشاعر يصور هذا الوضع بصورة رائعة :

" المطر ينزل بغزارة .. معذرا

من الأرض الناشفة ! " (15)

يستترسل الشاعر برفضه لكل الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي تعيشها البصرة ويعيشها العراق ككل , وهو رفض يعلن عنه تارة وتارة أخرى يخفيه خلف الصور والرموز , وهذا الرفض جاء لكل هذه التابوات معا ففي كثير من الأحيان لا يفصل بينها لأنها متداخلة وذات ارتباط ولا يمكن فصلها , فالسياسة والدين هي المسيطرة على مقاليد الحكم في العراق والمتحكمة بحياة الفرد العراقي , ولأن تلك الإدارة كانت خاطئة , والسياسة جائرة أدت إلى سوء الحياة الاجتماعية , وظهور الكثير من الفوارق الطائفية والطبقية وسيطرة الأعراف النبالية والأحكام العشائرية , الأمر الذي جعل الفرد موزعا لا يعلم لأي جهة ينتمي وأي سلطة يتبع , وقد رصد الشاعر تلك الأمور التي كان يرفضها رفضا تاما ويرفضها كل أبناء العراق , فكان هو الصوت الناطق باسم كل الراضين الذين لا يملكون لغة البوح :

" أنا أرثي للأشياء جميعا :

أرثي للكتب المهداة , المنسية ,

عمدا أو سهوا أو لهما .. في الحانات ! ..

القاموس يلفق أحيانا ,

القاموس يسمى الصحراوات (بوادي) !

هل (تبدو) صحراء للعين , لكي تدعى بادية ؟! ..

لا بأس !

القاموس يسمى سراق الاوطان طوائف !

أو قوميات ... أو أحزابا حتى !

ويسمي (الإخوان) – أحقا هم إخوان -

.. الإخوان الشيعة والإخوان السنة .. والإخوان الأكراد ..

اقتسموا بغداد! .. " (16)

الشاعر المتقف يرثي الثقافة الضائعة يرثي العقول المفكرة ويرفض ما حل بها من نسيان وإهمال على يد رواد الحانات والمزورين للحقائق الذين يقفون خلف الكواليس ويتلاعبون بكل شيء ويغيرون الحقائق والمسميات بما يخدم مصالحهم ومخططاتهم , ويرمز لهم الشاعر بالقاموس لأنه الكتاب الذي يترجم المعاني والمصطلحات , ويشكل مرجعا للكثير من الأشخاص , بمعنى آخر الشاعر يريد إخبارنا بأن الكثير من رجال السياسة والدين والمجتمع ممن نعتبرهم مرجعا نرجع إليه في تسيير أمورنا هم في حقيقة الأمر مزورون للحقائق , فهم يمنحون الشعب وعودا غير حقيقية تجعل الناس يفكرون بأنهم قادرين على عمل المستحيل وتغيير الأوضاع السيئة إلى حال أفضل كمثل الذي يحول الصحراء إلى بادية , وهم يقبلون الحقائق ويغيرون وجوههم للحصول على تقبل الناس لهم وانتخابهم , بينما في الحقيقة هم مجموعة من السراق الذين جاءوا لسرقة الوطن تحت مسميات الطوائف والقوميات والأحزاب , وهم يرفعون شعارات لا يؤمنون بها ولكنهم يستخدمونها للضحك على الأذقان , من تلك الشعارات (أخوان سنة وشيعة وهذه الوطن ما نبيعه) والأخوة الأكراد ولكن لو كانوا فعلا أخوة لما كان هذا التناحر بينهم على السلطة ومقاعد البرلمان والامتيازات الأمر الذي أدى إلى تقسيم البلد . وبعد اعلان الشاعر رفضه لتأبؤ السلطة والسياسة ووجوهها بصورة معلنة , يتوجه بالرفض لتأبؤ الدين وبعض الوجوه المزيفة فيه ممن شاركوا في سرقة البلد وخلق أزماته والمحن التي يمر بها شعبه وهو الآخر من قبيل الرفض المعلن :

" السراق الورعون

اسم الله على الجبهات المدبوغة (بالإيمان) !

واسم الله على المحبس في الخنصر .

والمحبس في السبابة

- من كثر السب ! -

واسم الله على السبحة ,

ان كانت سوداء ... سواد القلب

وان كانت صفراء بلون الصحف الكذابة ..(.....)

في أيامي كان الدين كذلك :

- (الله) بداخلنا . لا فوق سماوات سبع

(الله) ضميري وضميرك .

أن تؤمن يعني ألا تكذب .. يعني ألا تنهب " (17)

إن الشاعر في هذا النص يعري بصورة معلنة السراق من رجال الدين المزيفون , الذين يسرقون البلد باسم الدين ولأنهم لا يعرفون معنى الإيمان الحقيقي , فنراهم يبالغون في إظهار ما يدل على إيمانهم الكاذب (الجبهات المدبوغة , المحبس في الخنصر والسبابة , السبحة) ومرة أخرى يستخدم الشاعر اللون كرمز للدلالة على معاني محددة فهو يجعل السبحة في أيديهم مرة سوداء لأن قلوبهم سوداء مليئة بالظلام والحدق والشر ومرة صفراء لان الأصفر من دلالاته الكذب والتزوير والخداع , والشاعر يرفض كل هذه الشخوص وهذه المظاهر الكاذبة ويعلن بأن الإيمان الحقيقي في القلب لا في المظاهر وفي الضمير الحي وفي الأفعال كالصدق وعدم النهب وهي أمور لا يمتلكها السراق الورعون من أهل المظاهر .الحجاج يرفض بعض المظاهر الاجتماعية التي فرضها الساسة وهي تقسيم الشعب العراقي إلى طوائف وقوميات ويحن إلى ذلك الزمن الذي كان فيه العراق شعبا واحدا لدرجة أن الصديق لا يعرف طائفة صديقه طوال حياتهم وربما حتى الممات :

" وإلى أن مات صديقي في الإعدادية

لم أعرف إن كان مسيحيا أو شيعيا ..

حتى أخذوه إلى مقبرة الفقراء " (18)

وهذا المقطع الذي يرفض اعتبار المسيح أقلية ويسلبهم حقهم :

" فالشرق دمعتان :

للحسين – يا بني –

.... والمسيح ! " (19)

ولعل أروع النصوص التي تحدثت عن رفض الطائفية بصورة مخفية , هو ذلك النص الذي عبر فيه عن الوضع تلميحا لا تصريحيا , وصاغه بصورة سردية كان اشبه بقصة قصيرة (صندوق الشطرنج) إذ بين أن الوضع في العراق أصبح شبيه برقعة الشطرنج , والشعب العراقي مجرد أحجار شطرنج يتناقلها السياسيون فهذا يمتلك الأحجار السوداء وذلك يمتلك الأحجار البيضاء , وهم يجبروهم على الصراع والتقاتل على تلك الرقعة سواء كان ذلك القتال حقيقيا أو سوريا (الانتخابات) , وطالما هنالك لعبة إذن فهنالك غالب ومغلوب , وأمام فرح الغالب قد يفقد المغلوب أعصابه فيقلب لوحة العراك , وبالطبع هناك أحجار عليها ستتناثر على الأرض , والمغلوب يتوعد الغالب بجولة ثانية , وصراع آخر , ولكن خلف كل هذا الصراع والتناحر وبعد مغادرة الأحجار (أبناء الشعب) للرقعة (طاولة السياسة) والعودة إلى الصندوق الذي توضع فيه متزاحمة (أحضان العراق الوطن الواحد) ماذا يحدث :

" (والجندي الأسود) , انحنى على اذن

(الملك الأبيض) وهو يتكى عليه ,

هامسا بحزن واعتذار :

أخي حجر الملك .. أرجو أن تعذرني ..

لقد اخرجتك أمام الغريبيين ! " (20)

إن النص كان غاية في الروعة والإبداع فيما يخص الوصف الفني للوضع السياسي والاجتماعي الراهن للعراق وأهم أسباب الأزمات التي يعيشها . ألا وهو تسلط الغرباء على أبناء الشعب الواحد ومحاولة زرع التفرقة بينهم , ولكن الأصالة العراقية والوطنية الحقة موجودة دائما للتصدي لتلك المخططات .

2 – الثورة والتمرد ا

(الثورة) : هي حركة منظمة تبدأ من الفكرة وتحاول أن تدخلها في صميم الحياة وأن تشكل الفعل بما يتفق وهذه الفكرة حتى تخلق عالماً جديداً . (التمرد) : هو حركة فوضوية تصدر عن تجربة الفرد ويكون الرفض فيها لمجرد الرفض وبدون تقديم البديل ولكنه على الأعم الأغلب يؤدي إلى الفكرة . (21) لقد حفلت خلاصات السبعين بالكثير من معاني الثورة والتمرد التي جاءت معلنه في كثير من الأحيان ومخفية في بعض الأحيان , فالحجاج كان تائرا على كل ما سلب من العراق الأمان والأمل والكرامة , والمستقبل وهو من خلال ثورته يحاول البحث عن أسباب الأزمات التي يمر بها بلده وينبه الآخرين لها , ففي النهاية هذا دوره كشاعر واعي ومتقف ومفكر , وكذلك هذا ما تفرضه عليه الإنسانية التي أصبحت نادرة في زمن الوحوش المحيطة بنا . أولى بوادر الثورة يجب أن تبدأ من رفض الخنوع والسكوت :

" الأجنان مغلقة في النوم .

إذاً لا ضوء . إذاً , لا لون ..

الأحلام ستبقى بالأبيض والأسود

تدرين ؟ القهوة تظهر واضحة

في الأحلام .. فما دامت سوداء ,

وتعطى في المأتم مجانا ! ..

تدرين ؟ أتى يوم صرنا نحلح حتى بالقهوة ,

نحن البصريين ,

الكيلو – لا كذبني الله – بسنة التسعين

الكيلو غير المطحون .. نسيت السعر

ذهبت بعيدا ... " (22)

الشاعر يعلن ثورته ضد الخضوع والسكون (النوم) لأنه ما يسلب منهم الحق (الضوء) ويسقطهم في مهاوي الظلام والتهيه حيث لا حياة كريمة (لا لون) ولا أمل بمستقبل آمن ومضمون (الأحلام) , لن يكون هناك سوى الموت (القهوة السوداء) , والشاعر هنا يستخدم القهوة السوداء بدلالاتها الرمزية مرة ومرة أخرى بدلالاتها الحقيقية , لا شيء إلا ليعود بالذاكرة إلى أيام الحصار الاقتصادي على العراق (بسنة

التسعين) وهو يعلم جيدا ما تحمله هذه الذكرى معها من آلام ومآسي وذل , واستحضار هذه الذكرى كان متعمدا لشحن الطاقة الثورية عند المتلقي . ثم يتمرد الشاعر على الموت والحزن وتقبل الواقع وذلك بتناسيه وغياب الغضب عن بعض الأزمات التي مرت :

" فنجان آخر ؟

لا بل كأس نبيذ أحمر ..

تدريين ؟

القهوة صارت تؤذي ..

بالأمس شربت القهوة مرات ,

كان المترو أسرع مما خمنت ,

وصلت إلى المقهى قبل الأصحاب ..

هناك تفاجأت :

رأيت حفيدي (طارق) في منتزه

الخريجين .. وكانت تمطر ..

والملعون رأى بنتا , كانت تمشي

بمظلتها .. فاندس مع البنت الملعون . " (23)

تعرض القهوة على الشاعر فيتمرد ويثور عليها ويطلب (كأس نبيذ) وهو يرمز إلى النسيان وغياب الوعي والشعور بالانتشاء والفرح , لقد ضج الشاعر من الموت والحزن ويريد ما يمنحه شيء من السعادة والشعور والحزن وفقد الأحبة وهي أمور يرجعها الحجاج إلى السير السريع لقطار الحياة وبلوغه سن السبعين دون أن ينتبه إلى كل تلك السنوات المسروقة من عمره بسبب الحزن والتفكير بالأزمات حتى كأن الشاعر قد شاخ قبل أوانه , وما نبهه لذلك هو رؤية حفيده طارق وقد كبر وأصبح شابا متخرج من الجامعة , وهو في طور البحث عن شريكة الحياة , على الرغم أن جده الشاعر لازال ينظر له كما لو كان طفلا بدلالة استخدامه للفظ (ملعون) وهي كلمة يداعب بها الصغار عند القيام بعمل طفولي وتعني (يا مشاكس) وأنا أتوقع أن هذا الأمل قد تجدد عند الحجاج في الفترة التي توقفت فيها الانفجارات التي كانت تحصد أرواح الشعب العراقي بأعداد كبيرة , ومن ثم فتنة تنظيم داعش وتصدي أبناء الحشد الشعبي له والذي راح ضحيتها كوكبة من شباب العراق في المحافظات الجنوبية وقد كان الوضع بحق مأساويا فالأمم في كل مكان وصور الشهداء في كل شارع , وشعور الجميع بأنهم محاصرون بالموت والحزن , ثم بعد ذلك أعقبتها فترة تجدد فيها أمل الشعب العراقي عندما حقق النصر على داعش وطرده من المحافظات العراقية التي كان مسيطر عليها , وعودة الناس إلى مناطقهم بعد التهجير . لكن هذا التمرد وهذه الثورة على الحزن والموت سرعان ما تجابهه باليأس بسبب أزمة قاسية مر بها العراق ألا وهي حادثة

غرق العبارة في نهر دجلة في الموصل وتحديدا خلال أيام العيد وموت الأطفال و العوائل غرقا وبشكل مأساوي :

" غدا سأكون ببغداد .

أنا أشتاق لنادي الأدباء ,

لأشرب نخب الأموات هناك ..

بلى لا بأس بفنجان .

أدري قهوتنا كادت ..

كان (العاجل) في التلفزيون :

((يقول شهود أن بنات الموصل

يلبسن الأسود حتى في العيد ... لأن ...))

انقطع التيار !

بلى . فنجان آخر ..

لكن لا سكر فيه ! " (24)

نجد أن النخب تحول من النبيذ إلى قهوة سوداء مرة من جديد , وهي ثورة وتمرد بصورة مخفية تحتاج إلى تأمل , ولا يفوت الشاعر وهو في خضم عرض أزمة مؤثرة من أزمات المجتمع أن يشير إلى أزمة أكبر ملازمة لحياة العراقيين ألا وهي (انقطاع التيار الكهربائي) وهو أحد أساسيات الحياة المفقودة في العراق . من مقاطع الشاعر الثورية التي رسمت لنا صورة من اعتزاز الشاعر بالبصرة وبالجنوب ككل , تمردا على تلك النظرة الدونية التي عانى منها أهل الجنوب لسنوات من قبل سلطة البعث الصدامي والمحافظات الغربية التي ينتمي لها هو وأتباعه , والتي ما تزال لها بقايا حتى يومنا هذا :

" في الجنوب , العشائر لا تصبغ أعلامها ..

في الجنوب , البيارق صفراء لون الظهيرة

أو برتقالية كالشفق .

والبيارق حمراء – ليست دما- ..

البيارق حمراء .. حتى ترى من بعيد ...

فعار المضايغ ألا ترى من بعيد ! " (25)

في هذا المقطع يفخر الشاعر بعشائر الجنوب ويبين أنها عشائر وطنية فهي لا تتلون (لا تصبغ أعلامها) وتغير مواقفها تبعا للسياسة والسياسيين كما يفعل البعض من العشائر المنافقة والتي فضحت صورتها الأزمات لاسيما أزمة تنظيم داعش ووقوف بعض عشائر الغربية معهم , تلك العشائر التي ينظر أبناءها لأهل الجنوب نظرة دونية (شروكية) , ويؤكد الشاعر على صفة الكرم عند عشائر الجنوب من خلال

صورة جميلة فيها في الوقت ذاته انتقاد وثورة مخفية بذكاء , على العشائر الداعمة للإرهاب , إذ يذكر أن
أعلامهم حين تكون حمراء فهذا لا يعني حبهم للقتل والدم , وإنما هي بديل عن النار التي كان العرب
القدامى يشعلونها ليستدل الضيف على مكانهم فيأتيهم ليكرموه ويخص بهذا الكرم أهل البصرة فهم كرماء
محبين للشعر والثقافة :

" نحن البصريين ,

نظفيء الشعر حين ننام ..

ونؤرق مصباحنا للضيوف ! " (26)

ويستمر الشاعر الجنوبي البصري بالتعالي والفخر وإظهار الكبرياء الذي يليق بأبن الجنوب , فيعدد

المناقب والصفات التي يمتاز بها أهله وفي كل منها يوجه سهام الانتقاد للآخر :

" مثل خبز الأرياف ..

– نحن أهل الجنوب –

نخرج من تنانير أمهاتنا ساخنين

لأجل أن نليق بغم الحياة !

إننا في الجنوب – نأكل الخبز حتى يعيش بنا

لا نعيش به

ونحرم ذبح دجاج البيوت ...

هل يهون علينا : نربي ونذبح ؟

كيف يهون ؟

وكلاب الجنوب . وحدها تتقن الاعتذار ,

تنبح الضيف وسط الظلام .

وتمسح أذباله في النهار !

ولذا نحن أهل الجنوب – حين نغترب –

تتجمع أوطاننا , مثل قبضة كف

وتنبض تحت الضلوع !

وحين نزور الحسين : ن فك صرة الحزن

بوجه الضريح ...

نبكي – يقول والدي –

.... لنستريح .

فالشرق دمعتان :

للحسين - يابني - ... والمسيح ! " (27)

يخبرنا الحجاج أن أهل الجنوب أهل حمية وشجاعة منذ ساعة ولادتهم لأن الحياة في العراق قاسية وهي بحاجة لأمثالهم , وهم لما يتحلون به من صفات حتى الحياة (الخبز) تفخر لأنها تتواجد في أبدانهم , وليس هم من يفتخرون بوجودهم في الحياة , حتى الحيوانات عندهم مختلفة وقد تطبعت بطباع أهلها (الكرم والشجاعة) إذ تتبح كل غريب يقترب من مكان حراستها غير متهيبة من الظلام ولكنها ما إن تعلم عند الصباح بأن القادم كان ضيف لا شخص معندي تسارع للاعتذار منه على إساءة الظن به بحركة مألوفة يفعلها الكلب حين يستأنس بشخص ما (مسح رأسها بأذياله) . وأهل الجنوب لا يطيقون الغربية ومفارقة الأوطان وإن فعلوا مرغمين حملوا الوطن بين أضلعهم , وأخيرا لا يفوت الشاعر الافتخار بأكثر ما يميز أهل الجنوب ألا وهو تشيعهم وحبهم للإمام الحسين (عليه السلام) , ذاك الإمام الفذ الذي علمهم الثورة وهذه هي الغاية الأولى للحجاج من ذكر هذا الرمز , أما الغاية الثانية فهي ما تعلموه منه من نبذ الطائفية وعدم التفرقة بين المسلمين و المسيح . حتى نساء البصرة مدعاة للفخر عند الشاعر , لما قدمه من تضحيات في حرب العراق مع ايران وفي انتفاضة التسعين وفي كل الأزمات التي تلتها , فمع كل تلك الأحزان الأم البصرية عنوان للصمود والشموخ :

" في الشناشيل في قلب (نضران)

أم تعلق قمصان أبنائها ..

تعمدت ألا اراها تعلق ذاك القميص .

وهيات عيني للحزن ...

كان القميص به ثغرتان كعينين

- في أسفل القلب - يا أمنا في الأعالي ,

أحقا تظنين أن الشهيد

- إذا عاد من موته - ... لن يغير قمصانه؟! " (28)

في قصيدة (أنا طائر التم) يركز الشاعر على موضوع ملفت للنظر ألا وهو أن في البصرة حتى الشعر يختلف , إذ يحق لشعراء البصرة ما لا يحق لغيرهم من أمر تجاوز اوزان الشعر , والتجديد , ذلك لان الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع أوزان الشعر هو ابن البصرة , وأول من تجاوزها وجدد فيها وجاء بالشعر الحر هو السياب ابن البصرة كذلك , ومن حطم قيودها ومزج الشعر بالنتش من خلال الشعر المنثور هو سعدي يوسف وهو ابن البصرة كذلك إذن لما لا يحق للحجاج التجاوز على الوزن متى ما شاء وهو ما فعله في نصوصه فعلا ؟ أو ليس هو الآخر ابن البصرة:

"من هنا سأغير وزن القصيدة

لا بأس قولوا عجزت ..

أنا ما عجزت : الخليل بن أحمد - جدي -

أجاز الخليل ل (بدر) و (سعدي)

أن يمرا على الوزن مر الكرام ..

فمرا .. وها إنني ابن جدي ! " (29)

والشاعر لا يهيمه في هذه الخلاصات إن التزم بالوزن أو خالفه المهم لديه هو البوح بكل ما هو دفين في

أعماق النفس , فهذا بحسب ما يذكر الحجاج هو غناه الأخير :

" هذا غنائي الأخير . أنا طائر التم

أرجعت ناي القصيدة لا بأس قولوا :

- حليلة عادت ! ..

ولكننا - في الجنوب - نلحن حتى البكا ..

فاعذروا عودتي للخليل بن أحمد ..

أو للمغني صديقي رياض بن أحمد

نحن الثلاثة نبكي مع الدف

نبكي إذا الشعر طار

على خد فاتنة ...

ونبكي إذا الشعر حظ ! " (30)

وطائر التم الذي تقنع به الشاعر , هو طائر أخرس من فصيلة الاوز العراقي له رقبة طويلة وبالرغم من

وزنه الثقيل الا انه يسبح برشاقة , يستلهمه الحجاج لكي يتحدث عن نفسه وهو الطائر الاخرس إلا أنه

غنى وتكلم ويبدو أن هذا هو غناؤه الأخير فهي خلاصات السبعين . ولم يفوت الشاعر الفرصة حتى في

الحديث عن شعره وغنائه الأخير , أن يذكر شخصية بصرية فنية هي شخصية الفنان (رياض أحمد) .

3 - السخرية ا

السخرية الأدبية من الفنون الراقية و الصعبة لما تحتاج إليه من ذكاء وفكر , وإمكانات خاصة لا تتهيأ

لكل شاعر , لذلك عدت من أصعب الفنون , وهي سلاح خطير بأيدي الشعراء والكتاب بوجه الحكام

والسياسات الظالمة المستبدة المتحكمة بمصائر الشعوب , كما وتستعمل في نقد مظاهر الحياة المتنوعة

من عادات وتقاليد وجهل وتخلف ونفاق (31) , والسخرية نوعان : سخرية حقيقية لا تعتمد الإيذاء

, وهدفها إثارة الضحك والمرح , وسخرية مرة لاذعة قاسية شديدة الوطأة أثرها بالغ وشديد على المتلقي

تجعلنا نضح بمرارة ويأس وتشعرنا بفداحة العيب . (32) , وكاظم الحجاج شاعر ساخر من الدرجة

الأولى وسخريته من النوع الثاني وهي سخرية لاذعة وقاسية , وقد كانت في نصوصه دلالة على البراعة ولعبة ذكية أحسن استعمالها وتوظيفها بوعي وإدراك كبيرين , حتى شكلت طابعا مميزا في (خلاصات السبعين) , ومن خلال رصد مقاطعه الشعرية الساخرة وجدنا بأن تلك السخرية المعلنة , قد صنعتها ظروف حياته الخاصة , وما واجه بها من أحزان ومعاناة , فجاءت تلك السخرية كنوع من الثورة والتمرد على الواقع المؤلم , ولكي يرسم صورة للأزمة التي عاشها في زمن هو عبارة عن أزمتا متتالية . كما أنها تعد الثوب الذي ألبسه الحجاج لغضبه وغلف به مرارة إحساسه بالخيبة وهو يواجه فشل العراقيين في استرداد حقوقهم الضائعة , ونومهم الطويل في عالم الأحلام الذي يخشون الإفاقة منه لكي لا يواجهون الواقع بكل سلبياته وتشوّهاته , وهم عاجزون عن تغييره لضعف إيمانهم بأنفسهم وقدراتهم العظيمة إذا ما اتحدوا وواجهوا الأعداء بقوة وصلابة. في خلاصات السبعين نجد سخرية سياسية وسخرية دينية وسخرية اجتماعية وسخرية ثقافية وسخرية ذاتية , وكلها تتداخل مع بعضها البعض لكي توصل للمتلقي الرسالة تلو الأخرى في ظاهرها سخرية من أمور معلنة ومألوفة للوعي الجمعي وفي باطنها صور مخفية لسخرية مريرة :

" الليل الآن – كما الفلم الهندي –

طويل جدا , ونحيف جدا

– ما قلت سخيف ! ..

كنا نذهب للفلم الهندي ,

لأجل التبريد وكنا نذهب للأفلام الأمريكية

حتى في الحر ..

الأفلام الأمريكية تكذب أجمل

مما نصدق , نحن الشرقيين ! .. " (33)

الشاعر يسخر من الظلام والجهل والتضليل الذي يحيا فيه الشعب العراقي , إذ يشبهه بالفلم الهندي , والحقيقة في مجتمعنا العراقي اعتدنا على تسمية الأكاذيب غير المعقولة بالفلم الهندي , وذلك لأن الأفلام الهندية تشتهر بالكثير من المشاهد غير المعقولة والمبالغ بها , كما تمتاز بالطول إذ يتجاوز البعض منها فترة الثلاث ساعات , وهي معروفة بميلها لطابع الحزن , كل هذه الأمور يراها الشاعر تنطبق على الواقع العراقي , وهو يواجه المتلقي بمفارقة ساخرة إذ يذكر ان سبب الذهاب للسينما ومشاهدة هذه الأفلام كان لأجل (التبريد) الأمر الذي يجعل من السخرية قاسية , ثم يأتي بمفارقة أخرى ليزيد من مرارة سخريته عندما يذكر أنهم كانوا على استعداد لحضور الأفلام الأمريكية حتى في الحر فقط لأنها تكذب بشكل أجمل , من الصدق عند الشرقيين , والشاعر هنا يريد أن يوصل رسالة بأن الأمريكان يمكنهم تمرير أكاذيبهم بطرق يستعذبها الآخرون وينجذبون لها حتى مع العلم أنها أكاذيب لأنهم متمرسون بذلك عكس

الشرقيين . وهو هنا يشير إلى خطورة المخطط الأمريكي تجاه العراق والشرق برمته وهذا هو الوجه الخفي للسخرية . بعض الصور الساخرة بقدر ما تحمل من الذاتية قد تشير إلى أكثر من شخصية :

" فخور لأنني نحيل .. لاني خفيف

على أرض هذا العراق .

لا أدوس التراب .. كما داسه الآخرون ! " (34)

الحجاج فخور بنحافته لا لشيء إلا لأنه خفيف على أرض العراق حين يدوس على ترابها بعكس (الآخرين) والمقصود هنا الأشخاص البدينين أصحاب الكروش وما أكثرهم بين رجال السياسة ورجال الدين وشيوخ العشائر , وهذا هو المغزى والوجه الخفي للسخرية المعلنة , فليس الموضوع تراب العراق حقيقة , وإنما التراب هنا رمز لخيرات العراق , وثروات العراق ونفط العراق التي يتمتع بها أهل الكروش السمان فيزدادون سمناً , في حين الحجاج النحيل وأمثاله ممن اغتصبت حقوقهم يزدادون نحولاً يوماً بعد يوم وهم فخورون بنحولهم هذا الذي مصدره المال الحلال وصعوبة الحصول عليه , لأنهم لا يريدون كروش مليئة بالمال الحرام . وبالحديث عن النحافة والسمن هناك صورة أخرى أشد سخرية ومرارة :

" ونحن في الابتدائية

كانت خريطة العراق

أسمن مما هي اليوم ! " (35)

وهنا يبين الشاعر من خلال سخريته , تلك السرقة التي تعرضت لها أراضي العراق من دول الجوار مما جعل خارطة العراق تتحف بعدما كانت سمينة . تتوالى الصور الساخرة في خلاصات السبعين وكل منها تحمل رسالة خفية ومهمة , فهناك تشبيهات أعطتها السخرية نكهة خاصة :

" صرنا مهادين ,

- لم اقل مخنثين -

... مثل الفلفل البارد ! " (36)

إن تشبيه المتخاذلين الساكتين عن حقوقهم بالفلفل البارد شيء ملفت للنظر وساخر جدا ومنطقي بنفس الوقت فتسمية الفلفل الذي يفترض أن يدل على الشيء الحارق والحار بالبارد هي مفارقة بحد ذاتها وقد أفاد الشاعر منها بذكاء . أحيانا قد يجد الشاعر في صورة تلفزيونية ما يثير سخريته , لأنها تشبه إلى حد ما بعض صور واقعا :

" في تلفزيون ال (MBC) :

رسم يكذب بالألوان ,

خروف مبتسم جدا

في عيد الأضحى ! " (37)

الصورة واضحة , ولعل ما أثار سخرية الشاعر حين رآها , أنه تصور عدد الخراف بين أبناء الشعب العراقي ممن يبتسمون بوجه قصابيهم . إن الأمان المفقود يجعل الشاعر يصرخ بمرارة ساخرة ومنكرة :
" يا (زها حديد) : قبل أن ترحلي -

لماذا لم تصممي لنا وطنا

سياجه بعلو النخيل

عسى أن ينام أطفالنا آمنين

من تجار قريش

كما تنامين الان آمنة هناك ..

في مقبرة أجمل من بغداد؟! " (38)

ما أشبه هذه الصرخة بصرخات المتظاهرين اليوم في ثورة أكتوبر (نريد وطن) نشعر به بالأمان .هناك مقاطع كثيرة ينتقد فيها الشاعر رجال الدين ممن يجعلون الدين لعق على ألسنتهم , ويقولون ما لا يفعلون ويحاولون تضليل الآخرين بأقوال موهومة :

" نحن المخلوقين من الطين ,

مازلنا في الطين ... إلى الآن !

نريد العيش مع السمراوات

الحوريات لكم منا!

يا سيد يا شيخ

أنا ما خنت امرأتي السمراء

هنا فوق الأرض أخون (هناك) ؟

... الحوريات لكم منا ! " (39)

الشاعر في هذا المقطع يسخر من رجال الدين الذين أغروا الكثير من الرجال لارتكاب أعمال الإرهاب والتفجير باسم الدين ونيل الجنة والزواج من الحوريات , فهو يتنازل عن تلك الحوريات التي ثمنها تلطيخ الأيدي بالدماء , بل ويعد الزواج منهن خيانة لزوجته السمراء التي ما خانها يوما ولا حتى بالتفكير بزواج ثاني , هذا وإن الكثير من الشباب من هم محرومون من الزواج أصلا بسبب الحالة المعيشية . هناك عبارات يكررها رجال الدين فيحور الحجاج معناها بطريقة ساخرة مثل عبارة (عظم الله أجورنا وأجوركم) :

" قلنا :

بعد الحرب سيرحل سيدنا عزرائيل ,

إلى بلدان أخرى .

والمخلوقون من الطين

- حتى في آخرتهم هناك -

سوف يقبلون العمل بأجور يومية !

عظم الله أجورنا وأجورهم ! " (40)

فهو يقرن الأجر (الثواب) الذي يناله الشخص في الآخرة لقاء أعماله الحسنة بالأجور اليومية التي يتقاضاها البعض مقابل العمل بوظائف يفترض أن ينالوا عليها راتب شهري ثابت , فهو يسخر من تقبلهم العمل بأجور يومية ويعتبر ذلك دليل على الضعف والاستسلام الذي شجع السياسيين على التماذي وعدم التفكير بحلول للأزمات التي يعاني منها الشعب والتي تعد البطالة وقلة الوظائف إحداها . وعندما يقرر الحجاج التماذي بسخريته من بعض الأمور التي تتعلق بصميم الدين كتحریم شرب الخمر وغيرها , يأتي بشخصية وهمية لسكير يطلق عليه (الجمعان) ويبين الشاعر سبب هذه التسمية ومن أين جاءت (41) , المهم هذا الجمعان رجل مدمن على الشراب لذا فهو يدافع عن الخمر وشربه بل ويجد أن الذين يشربون أكثر صحوا ممن لا يشربون , وأنهم بسبب ذلك الخمر حققوا النجاحات العظيمة مثل (تولستوي ودستوفسكي وبوشكين وكورساكوف وفلاديمير لينين وبوتين) . (42)

" ثم يهمس الجمعان :

- ليس خائفا ولا خجلان - : ناقل الكفر ليس بكافر ..

يقول الفقهاء ...

بينما يا أخي :

ناقل الخمر , في إقليم الجنوب - قد يقتله صبيان الأحزاب ! " (43)

فالحجاج وعلى لسان الجمعان وهي شخصية تقنع بها الشاعر ليخفي المغزى من سخريته , يسخر من تطبيق الأحزاب الدينية للدين والأمر الفقهي , إذ يتعرض من يقوم بنقل الخمر إلى بعض الزبائن للقتل من قبل بعض الأحزاب بحجة الإعانة على ارتكاب الاثم والمحرم في حين أن في الفقه لا يعد ناقل الكفر شخص كافر وهي مفارقة ساخرة حقا . ويحرف الجمعان بعض الأدعية التي تقال في مجالس العزاء (إن شاء الله .. عساها خاتمة الأحزان) إلى (عساها خاتمة الأحزاب) , وهذا التحريف لشدة سخريته يثير حتى ضحك أهل المتوفى . وبما إن الجمعان رجل سكير معربد لذا فهو يستخدم السباب والشتائم بصورة ساخرة وقد جاء الحجاج بتلك الشتائم باللهجة العامية لزيادة السخرية :

" والتاريخ (ابن الزفرة)

- قال الجمعان - :

تجار قريش سادتنا - رغما عنا -

قبل الاسلام وبعد الاسلام.

وقبل النفط وبعد النفط .

لهم بيت الله وبيت المال .

أمويين وعباسيين إلى يوم الدين

... بلا (أمين) ! " (44)

في هذا المقطع يشبه الساسة وبالذات تلك الوجوه التي لا تتغير رغم تغير الحكومات بكل الطواغيت في التاريخ الاسلامي (تجار قریش والأمويين والعباسيين) المسيطرين على العراق والمتحكمين بخيراته رغما عن أبنائه حتى كأنهم سيحكمون ليوم الدين ويختم قوله (بلا أمين) دلالة على رفض هذه السيطرة وتمني زوالها . إن الحجاج أبدع بحق بخلقه لهذه الشخصية الساخرة (الجمعان) وهي شخصية شديدة الشبه بشخصية البهلول الذي كان يدعي الجنون لكي ينتقد الحكام ورجال الدين ورجال المجتمع دون أن يتعرض للعقوبة ففي النهاية المجنون لا يؤخذ على منطقه وكذلك هو جمعان الحجاج فهو سكير معربد ينتقد الجميع ويثير السخرية ويأمن العقاب , ولكن هذا السكير ليس بالشخصية العادية فهو يعلم بأمر السياسة والدين والثقافة والتاريخ وغيرها من الامور , ولذا كان انتقاده لاذعا وسخريته مبرره .

في قصيدة (روزنامه .. عن حكام العراق : السابقين والسارقين واللاحقين) يصل الشاعر إلى قمة السخرية , وهي سخريه صريحة غير مرمزة , فهو ينتقد كل الحكام الذين حكموا العراق منذ عهد النظام الملكي ومن ثم النظام الجمهوري وصولا للنظام البرلماني الحالي , مع ذكر الأسماء الصريحة , دون خوف أو تردد . (45) , فهو يذكر أن الملوك الثلاث (فيصل الاول وغازي و فيصل الثاني) لم يوفقوا بامتلاك الشعب , أي محبة الشعب وتأييدهم لضعف شخصياتهم , ولتحكم الانكليز بهم , مما أدى إلى نهب ثروات العراق , وعيش الشعب بالحرمان والفقر بالرغم من أن عهد الملكية قد شهد استخراج الانكليز للنفط , الذي يراه الحجاج لعنة على العراق وأهله :

"ومع النفط , ابن الكلب , المحسودين عليه , كنا نسير إلى

مدارسنا الابتدائية الجاهلية ,

.. وإلى مدارسنا الثانوية العاقلة ,

بالجزمات المطاطية , إذا أمطرت السماء ,

من فوقنا , ومن تحتنا ...

(معلومة) :

إلى اليوم تقول الكتب الرسمية لمديريات

الطرق والجسور : عبدنا الشارع الفلاني ..

اي جعلناه عبدا أسود بالقار ! (46)

ومما يثير السخرية حقا تحول أبناء العراق إلى مجموعة من المتسولين الذين ينتظرون معونات المنظمات الإنسانية لتوزع عليهم الكسوة والغذاء في البيوت وفي المدارس . ثم يجيء عهد الجمهوريين الثلاثة (عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف وأحمد حسن البكر) , وكان الانجاز العظيم في عهدهم توفر شوارع وأزقة معبدة بالزفت , وحتى هذا الانجاز كان من صنع عبد الكريم قاسم الذي أطاح بالنظام الجمهوري واستلم الحكم قبلهم إلى حين مقتله على يد (دواعش العروبة) كما يسميهم الحجاج , بالتواطؤ مع جيران العراق الستة وعبد الناصر . (47) وعبد الكريم (الزعيم) كما كان يدعوه العراقيين هو الحاكم الوحيد الذي بدأ الشاعر راضيا عنه , إذ يعود له الفضل بأن أصبح الشاعر جمهوريا منذ سن السادسة عشرة وإلى الآن ولذا يحب الشاعر نادي برشلونة الجمهوري ويكره نادي فرانكو الملكي . بعد ذلك يأتي عهد صدام , الذي كان اسمه يذكر مقترنا بعبارة (حفظه الله ورعاه) فلا يفوت الشاعر فرصة السخرية من هذه العبارة :

" ثم جاء (صدام) الذي حفظه الله
ورعاه جيدا , لأكثر من ثلاثين عاما !
بعدما قفز بعصا الزانة , من
زقاق فرعي , غير مزفت , ببغداد ,
مباشرة , إلى غرفة النوم بالقصر الجمهوري ! ..
وراح يعلمنا كيف نغني للنصر ..
ونحن مغلوبون , مثل الروم , في أدنى الأرض ! ..
وكيف نغني للإيمان , ونحن كافرون
حتى بأنفسنا ! ...
وكيف نغني للكرامة , وكوفي عنان
- المزفت بالقار - يفتش ألبستنا الداخلية ,
وحفاظات أطفالنا , بحثا عن أسلحة ! " (48)

في هذا المقطع لخص الحجاج أهم الأزمات في عهد الرئيس السابق صدام , وهو يشير ساخرا لتلك المقولة التي كانت مقترنة بذكر اسمه على أفواه العراقيين (حفظه الله ورعاه) وكان البعض يقولها قسرا وخوفا والبعض الآخر يقولها نفاقا , فصدام قد تسلم السلطة قادما من زقاق حقير غير معروف وهذه دلالة على إنه لم يكن من عائلة معروفة , وما إن جاء حتى جاءت معه الحرب العراقية الإيرانية , بكل مآسيها وهزائمها وكذبها , ثم الحملة الإيمانية وزيفها , وبعد ذلك قرار الأمم المتحدة بالتفتيش عن الأسلحة الكيماوية والذي كان القبول به إهدار لما تبقى من الكرامة العراقية . وفي العام 2003 الذي يشبهه الحجاج ساخرا برقم تلفوني أرضي , يأتي (بريمر) الأمريكي (ابن الأمريكية) , ودعوة الشاعر له بابن

الأمريكية فيها سخرية وانتقاص كبير , ومع مجيئه تتغير الحكومات بسرعة , ويزيح الحكام (مع كل عادة شهرية لامراته) سخرية لاذعة , ثم يجيء السيد علاوي والجعفري والمالكي , ويصف الشاعر أزمته بتوفر الطعام بكثرة في عاشوراء تحديدا (لأنهم ينتمون لأحزاب اسلامية) , يتاجرون باسم الدين والحسين عليه السلام , ومن جهة أخرى (كان الموت بأنواعه متوفر جدا جدا ومن دون تحديد : في الأشهر الهجرية والأشهر الميلادية وحتى في أشهر العسل) , سخرية مريرة تلخص الكثير من الكلام والأحداث . ويأتي الحجاج بمشهد فرعي يجري فيه حوار يدور بين إثنين من السكارى وهو حوار ساخر يحمل حقائق مرة وكأن شاعرنا يتبنى القول (خذ الحكمة من أفواه السكارى) عوضا عن المجانين :

" قال السكير الأول لصاحبه السكير الأول :

- مذ مات أبي - قد يرحمه الله -

كانت أعمار الناس , بأيدي سيدنا عزرائيل ..

أجاب السكير الأول صاحبه السكير الأول :

- الأعمار الآن بأيدي من هب ودب ! " (49)

يذكر الشاعر أنه ينتمي لقبيلة عبادة التي ينتمي لها السيد العبادي (ابن عمنا) كما يدعو الشاعر , الذي تسلم السلطة رغم عدم انتخاب الكثير له حتى من أبناء قبيلته , فكيف جاء (جاءت به بيعة الأقوياء : السعودية وقطر وإيران وأردوغان واتحاد القوى ومنتحون والوطنية والسيد مسعود وأمريكا والقائمة تطول) نعم هكذا تجري الأمور في العراق , وإنما لمن سخرية الأقدار , لكن الأخطر من بين الكل هم (الاسلاميون الذين يدينون الارهاب أحيانا .. كمن يبصق على نفسه في المرآة) , إن هذه القصيدة تشكل بحق خلاصة خلاصات السبعين , لأنها لخصت تاريخ العراق بكل أزماته عبر الأجيال , وقد منحها الطابع الساخر الذي كتبت به , وأسلوب التصريح قوة وثورية , وفيها أعلن الشاعر بأنه رغم كل هذه الظروف , ومع ما راه من ارهاب الحكومات السابقة . والحكومات التي ستبعتها , سيضل ثائرا متظاهرا عبر كلماته حتى بعد موته الذي قد يكون ثمنا يدفعه لشجاعته في المواجهة :

" فانا سوف أبقى أتظاهر , في الساعة

الخامسة من عصر كل جمعة ..

ولو من داخل قبري , في مقبرة الحسن البصري ,

بالتواطؤ ربما , مع بعض الدفانين الشباب ! " (50)

إن اختيار الشاعر لمقبرة الحسن البصري الموجودة في البصرة ليكون قبره فيها , له اعتبارات اولها أن هذه المقبرة ضمت قبور لشخصيات بصرية مهمة مثل السياب والبريكان وياسين العمر وابن سيرين وبعض المعتزلة , وثاني الاعتبار هو التركيز على بصريته واعتزازه بالبصرة .

4 - رؤى لتخطي الأزمة ولما بعد الأزمة ١

إن للكاظم الحجاج كما لكل العراقيين أحلام كانوا قد حلموا بها وما زالوا يحلمون , فمع تغير كل حكومة تتجدد الامال وتنتعش الأحلام ومن ثم تتحول إلى خيبات :

" و أنا مذ عمري عشرون ... حلمت بسوق في العشار

بتسعة أدوار (والعاشر للسيارات) ..

أنا بطران أحيانا في أحلامي !

حتى في (العاجل) - في التلفزيون - :

((افتتحت منذ قليل أوبرا الفارابي

بالعشار . ومدرسة للبالغين بحي الجمعيات))

وسباحات البصرة فزن على سباحات مدينة برلين ! ..

البرلينييات تعجبن من المسبح في (باب سليمان) ..

المنتخب الوطني , التاسع في تصنيف (الفيفا) ..

فلمان عراقيان من الموصل والحلة في (الأوسكار)

رئيس الوزراء يزور الأستاذ (فلانا) ,

في شقته - في حي الأدباء -

يهنئه بالترشيح إلى (نوبل) ! " (51)

إن أحلام الشاعر ليست ضربا من الخيال ولا هي مستحيلة , ولكن بالرغم من طول الفترة التي انتظرها لتحقيقها ,ربما يأتي اليوم الذي تتحقق فيه ولو بعد رحيل الشاعر , فهي ليست أحلام فردية , أنها أحلام لكل بصري يحب البصرة ولكل عراقي يحب العراق . وهو يؤكد على هذا الحب من خلال هذا المقطع :

" وأنا حلمي - منذ صباي -

بلاد الغرب ! ولا تندهشوا !

أعني أن نبني بلدانا (مؤمنة) .

مثل بلاد (الكفار) هناك ! " (52)

أن يكون حلم الحجاج البصري الجنوبي العراقي بكل معنى الكلمة وبكل معاني الوطنية , بلاد الغرب هو فعلا امر يثير الدهشة ولا يصدق , ولكن يتدارك الحجاج الموضوع ليبين للمتلقي ان ما يريده هو أن نبني مدن العراق على غرار مدن الغرب , إذ ما بال المدن المؤمنة مهدمة ومتخلفة في حين مدن الكفار كما يسميها تجار الدين (فيها حدائق أطفال وأراجيح من ورد وماء عذب ومستشفى مجاني ومدرسة متطورة وصحف لا تكذب وتجار لا تخط سمن الأكل بزيت السيارات وأرصفتها نبصر فيها وجوهنا لشدة النظافة وحكام لا تبقى في الحكم منذ الولادة وحتى الموت) وهذه كلها مطالب شرعية ومن أبسط حقوق الانسان ,

فلماذا الكفار يوفرونها لشعبهم , في حين يعجز المؤمنون عن توفيرها ؟ ربما يريدون تعليم شعوبهم الزهد من يدري ؟ ! فمن يصدق أن الحجاج وهو رجل سبعيني وشاعر مقتدر عاش عمره (يحلم ببيت صغير على النهر , بستانه نازل , درج من حجر نازل للبلبلم , وفي البيت مكتبة من جدار زجاج , ليرى الشط والفجر والغيم , والصمت والله والبرق والنورس) ولم يحقق لليوم هذا الحلم :

"فانا لم أحصل بعد على بيت

جنب النهر ..

وابني مازال يفكر بالهجرة

صوب بلاد (الكفار) ..

أعني الاكثر إيمانا منكم ! " (53)

ولعل ما يؤلم الحجاج فعلا ليس عدم الحصول على البيت وتحقيق حلم الصبا , وإنما تفكير ولده بالهجرة وترك العراق وهو الأب البصري الجنوبي المتمسك بوطنيته وبعراقيته , ولاسيما حين يكون هذا حال معظم الشباب في العراق والذي يعدهم الشاعر ثروة العراق الحقيقية ومستقبله والأمل المنشود , ولذا نراه يعلق آماله على الجيل الجديد من الطلاب لبناء المستقبل ولكن وفق شروط معينة ورؤى محددة يصورها الحجاج كالاتي في قصيدة (أذان القرية مسموع أكثر) :

" هذه خطة الدرس :

سبورتى بيضاء ,بياض ثياب المختونين الريفيين ..

طباشيري من لونين , الأخضر والأزرق ..

طلابي بيض الأرواح , قراطيس ,

لا حبر على سطر من أسطرهم بعد ...

رجال ونساء طلابي " (54)

إذن الخطوة الأولى هي التجرد من كل المرجعيات والموروثات السابقة لكلا الطرفين (المعلم – سبورتى بيضاء) والطباشير (من لونين الأخضر والأزرق) وهي ألوان تدل على التفاؤل والأمل والحياة , و (الطلاب – بيض الأرواح قراطيس لا حبر على سطر من أسطرهم) وهم لا بد أن يكونوا من كلا الجنسين (الرجال والنساء) لأنهم سيكونون النواة لبناء المدينة الفاضلة , فالحجاج يقدم يوتوبيا مفترضة ولاواقعية , بديلة عن الدستوبيا الواقعية التي يعيشها العراق , وهذه اليوتوبيا من وجهة نظره ليست مستحيلة التحقق , فكل ما يلزم مدينة صغيرة , بصورة مدرسة أو صف دراسي , وعدد الطلاب المختارين سيكون (ستة وثلاثون) من كل المدن , العدد (36 أي ضعف العدد 18) , وأول سؤال سيكتب على السبورة (إنا أحفاد النهريين , لماذا نعلو الآن أوطاً مما كنا ؟!) , وهو سؤال يزرع في النفوس بذور الثورة على الواقع المهين والرغبة في العودة لأمجاد بلاد النهريين . والخطوة الثانية ستكون برسم خارطة بيضاء فوق السبورة

خالية من تقسيمات مدن العراق والألوان المختلفة التي اعتدنا رؤيتها في خارطة العادية , وإذا كان لا بد من ألوان مختلفة , فالطلاب هم من يختاروها ويرضون بها لا أن تفرض عليهم . أما الصف فيجعله الحجاج (ذو نوافذ ست مغلقة) , وهو يبهر لما النوافذ ست , لأنها بعدد دول الجوار وهنا يمكننا ان نتخيل لما هي مغلقة , والباب كذلك مسدود , لكي لا يسمع الطلاب عند الظهر (أذانين مختلفين , أذان الشيعة وأذان السنة) من منارتين جارتين لكن (أذان يكره أذان ومنازة تخزر منارة وبلال يكره بلال) , وهي أمور لا ينبغي لطلاب المدرسة الفاضلة أن يسمعوها حتى لا يتأثروا بها , وليس الأذان فحسب من يجب إبعاد الطلاب عنه وإنما كذلك (الجرائد والإذاعات والفضائيات المتناحرة والتي تغذي الفرقة والطائفية) , وفي درس الدين (أفتي لطلابي : لا تصغوا لأذان غير عراقي ! فنبى الله ابراهيم عراقي والتوراة انت من بابل يعني موسى عراقي ونوح من اوروك وسفينته من قصب الأهوار , مريم هزت جذع البرحية عيسى منا , وقريش أنباط من كوئا وكوئا جدة كوفتنا , يعني أن نبي الاسلام عراقي) , وهكذا ينشأ الطلاب على حب العراق الواحد والدين الواحد والمصير الواحد وهذا ما نحتاج إليه لتخطي الأزمات وتطبيب الجراح . وهو ليس بالأمر المستحيل وإن رآه البعض كذلك بدليل أن ثورة أكتوبر اليوم , والشباب , لا لتدخل دول الجوار بمصير الشعب وتتصيب الحكام ولا للحقد الدمار والقتل والإرهاب) وهم قد حققوا بتكاتفهم في ساحة التحرير بعض هذه الصفات السامية ونموذج مصغر للمدينة الفاضلة , ولو اتيح لهذه الثورة البقاء وتحقيق المطالب لتحقق من حلم الحجاج ورؤاه الشيء الكثير , بل كل الأشياء .

الخاتمة ١

في خاتمة البحث تجدر الإشارة إلى إن الحجاج قد أبدع في كل تجليات المعن والمخفي من أزماته ومعاناته وآلامه وصور الأهوال التي مر بها العراق , لقد كان في إعلانه للرفض والثورة والتمرد والسخرية جريئاً وواضحاً ومباشراً دون خوف أو مخالطة أو نفاق , وكان في إخفائه لبعض الحقائق رغبة منه في إثارة القارئ وتشويقه وحثه على الغوص خلف المعاني والصور , ولكسر الرتابة والابتعاد عن الخطابية والمباشرة , وعرض ثقافته التي تعد مشتركا ثقافيا مع الكثير من القراء , فمخاطبة الموروث الثقافي الجمعي للمتلقين , من صفات النصوص الأدبية الرصينة والفن الرفيع , وهو ما ينطبق على خلاصات السبعين للشاعر كاظم الحجاج .

الهوامش

- 1 : ينظر ١ ابن منظور , لسان العرب , ص 266 _ 267 .
- 2: جون كروكشانك , ألبير كامى وأدب التمرد , ص 128 .

- 3 : غاستون باشلار , فلسفة الرفض , ص 25 .
- 4: كاظم الحجاج , خلاصات السبعين , ص 10 .
- 5: نفسه \ ص 10 .
- 6: نفسه \ ص 11 .
- 7: نفسه \ ص 14 .
- 8: نفسه \ ص 17 - 18 .
- 9: نفسه \ ص 19 - 20 .
- 10: نفسه \ ص 18 - 19 .
- 11: نفسه \ ص 40 .
- 12: ينظر \ حميد مخلف الهيتي , الرفض في شعر الشريف الرضي , ص 62 .
- 13 : خلاصات السبعين \ ص 10 .
- 14: نفسه \ ص 80 - 81 .
- 15 : نفسه \ ص 88 .
- 16: نفسه \ ص 11 - 12 .
- 17: نفسه \ ص 12 - 13 .
- 18: نفسه \ ص 38 .
- 19: نفسه \ ص 8 .
- 20: نفسه \ ص 80 .
- 21: ينظر : عبد الغفار مكاوي , ألبير كامو- محاولة لدراسة فكره الفلسفي , ص 122-123 .
- 22 : خلاصات السبعين \ ص 18 .
- 23 : نفسه \ ص 21 - 22 .
- 24: نفسه \ ص 22 - 23 .
- 25 : نفسه \ ص 27 .
- 26 : نفسه \ ص 34 .
- 27: نفسه \ ص 35 .
- 28 : نفسه \ ص 39 .
- 29: نفسه \ ص 44 .
- 30: نفسه \ ص 54 .
- 31 : ينظر \ محمد المنصوري , السخرية والتهكم في شعر حافظ ابراهيم , ص 8 .

- 32 : ينظر ا عبد الرحمن محمود , السخرية في شعر البردوني , ص 116 .
- 33 : خلاصات السبعين ا ص 17.
- 34 : نفسه ا ص 34 .
- 35 : نفسه ا ص 3427 : نفسه ا ص 36 – 38.
- 36 : نفسه ا ص 43.
- 37 : نفسه ا ص 43 .
- 38 : نفسه ا ص 49 .
- 39 : نفسه ا ص 44 .
- 40 : نفسه ا ص 45 – 46 .
- 41 : نفسه ا ص 47 .
- 42 : نفسه ا ص 47 .
- 43 : نفسه ا ص 47 – 48 .
- 44 : نفسه ا ص 48 – 49 .
- 45 : نفسه ا ص 69 – 81 .
- 46 : نفسه ا ص 73 .
- 47 : نفسه ا ص 74 .
- 48 : نفسه ا ص 75 – 76 .
- 49 : نفسه ا 48 .
- 50 : نفسه ا ص 80 .
- 51 : نفسه ا ص 20 – 21 .
- 52 : نفسه ا ص 55 .
- 53 : نفسه ا ص 56 .
- 54 : نفسه ا ص 59 .

المصادر

- 1: ابن منظور ا لسان العرب ا 2001 , دار صادر , بيروت , ط 1 .
- 2 : باشلار , غاستون ا فلسفة الرفض ا ترجمة: خليل احمد خليل ا 1985, لبنان , ط 1 .
- 3 : الحجاج , كاظم ا خلاصات السبعين ا 2019 , سطور للنشر والتوزيع , الطبعة الأولى

- 4 : كروشانك , جون \ ألبير كامبي وأدب التمرد \ ترجمة جلال العشري \ 1986, مكتبة الأسرة , الطبعة الأولى .
- 5 : محمود , عبد الرحمن محمد \ السخرية في شعر البردوني \ 2002 \ رسالة ماجستير , جامعة الموصل , كلية التربية .
- 6 : مكاوي , عبد الغفار \ ألبير كامو- محاولة لدراسة فكره الفلسفي \ 1964 , دار المعارف , مصر .
- 7 : المنصوري , محمد \ السخرية والتهكم في شعر حافظ ابراهيم \ 1984 \ جامعة القسطنطينية
- 8 : الهيتي , حميد مخلف \ الرفض في شعر الشريف الرضي \ 1986 \ مجلة آداب المستنصرية , بغداد, العدد 14.